استعراضات من طنطا

من محمد فوزى

فضائل التليفزيون - وهى نادرة - أنه عرفنى بأفلام محمد فوزى. فقد اعتاد عرض بعض منها بين الوقت والآخر. ولم أكن قد شاهدتها من قبل. فلم أهاجر إلى البندر إلا بعد حصولى على الثانوية العامة.

وفوزى قروى أيضا، لكنه تعلم من أهل البندر، وتفوق عليهم فى الأخذ بأشكال التطور الفنى، وقد فاضت أفلامه بالسبق فى السينما والغناء العربى والتجديد الذى سوف يظل مختوما باسمه فى تاريخ الفن فى منطقتنا.

١٥ سنة سينما فقط هى كل تاريخ محمد فوزى، و٤٨ سنة هى عمره فى الدنيا. أما إنجازاته فهى أكبر بكثير من سنواته الفنية والعمرية مجتمعين.

رقص فوزى مع الراقصات المحترفات، وإن لم يتفوق عليهن، جاراهن فى مهنتهن، وأكد أنه يغنى، ويلحن، ويمثل ويرقص بقدر واحد من الكفاءة. فهو ينفرد بلقب الفنان العربى الشامل. لم يسبقه إليه أحد، ولم يتكرر كثيرا. فالفنان الشامل عملة نادرة فى العالم كله، فى استوديوهات هوليوود أو القاهرة.

رقص فوزى مع تحية كاريوكا فى فيلم «حب وجنون» ورقص «تشاتشاتشات» مع سامية جمال فى فيلم «كل دقة فى قلبى» ومع نعيمة عاكف فى فيلم «يا حلاوة الحب».

وانفرد محمد فوزى فى تاريخ الغناء العربى بتقديم الـ «أكابيللا Acappella» العربية الوحيدة البعيدة عن الغناء الكنسى والدينى.

والأكابيللا شكل غنائى أوروبى له أصل دينى. ظهر فى القرن السابع عشر فى الكنيسة لتؤديه أصوات بشرية وبدون مصاحبة آلية. ابتكره الإيطالى بيرلويجى بالسترينا الذى قضى حياته فى خدمة الكنيسة ثم ظهرت مدارس لتطوير أكابيللا فى إيطاليا وخارجها عملت على تخفيف جرعة التوزيع البولينونى فيها.

وفى مصر اهتمت أحد مراكز التبشير المسيحى عام ١٩١٢ بتشكيل لجنة من الأدباء الملمين باللغة العربية والعلوم الدينية والفنون الموسيقية لتأليف مجموعة من التراتيل المنظمة شعرا. وتمت محاولة التوفيق بين تفاعيل هذه الكلمات مع موسيقى الألحان المنتخبة من الألحان الشرقية، على أن يراعى فى الكلمات سهولة اللفظ وبساطة التراكيب. وتم جمع هذه النصوص الأدبية ونشرت فى كتاب بعنوان «بهجة الضمير فى نظم المزامير».

وقد صدر عام ١٩١٧ على نفقة الإرسالية الأمريكية الإنجيلية بمصر. وفى عام ١٩٢٠ أصدرت نفس الهيئة مجموعة النوت الموسيقية للألحان المختارة على أن تؤدى هذه التراتيل أصوات بشرية بدون مصاحبة موسيقية على طريقة أكابيللا.

وقدم محمد فوزى أكابيللا عربية، وكانت غريبة وجديدة ومنفردة، مما دعا البعض ليتصور أنها لم تأت صدفة، إنما جاءت لتأخير الفرقة الموسيقية عن موعد التسجيل. فقرر فوزى معاقبتها بالاستغناء عن خدماتها وتحفيظ اللحن اللزمة الموسيقية لتؤديها الكورال فقط.

إنها نكتة. ففوزى كان نجم نجوم السينما. ويكفى تليفون صغير منه ليهرول إليه أصحاب الفرق الموسيقة الموجودة فى الساحة.

ثم إن فوزى كان صاحب روح مرحة. ومتواضعا، يعامل أعضاء فرقته الموسيقية بحب واحترام، إذا غاب منهم أحد سأل عنه، وإذا مرض عاده، وإن جاء موعد الطعام جمعتهم سفرة واحدة فى أى موقع. أما الأجر فيعطيه لهم مضاعفا. ويهتم بهم من أول مهندس الصوت إلى حامل الآلات.

كلمنى.. طمنى

كلمنى.. طمنى.. ارحمنى يوم يا حبيبى
ليه بعدك.. ليه صدك.. فين عهدك يا حبيبى
دا القلب اللى انت كاويه.. نار يا حبيبى

كلمنى مــرة وقول.. مخاصمنى ليــه على طول
وارحم قلبى المشــغول.. وابعت له مرة رســول
لــك حــق تفــرّح فيــه.. عــزالى ليــل ونهــار
إكمن إيدك فى المية .. وأنا اللى إيدى فى النار
دا القلــب اللــى انت .. ناســيه
نظــرة مــن عنــدك .. تحييــه
مــين غــيرك يقــدر .. يداويــه
يــا حبيبــى

□□□

وظّف محمد فوزى الأصوات البشــرية بكل طبقاتهــا لمصاحبته فى غناء هذا «القالب» وقد اختارهــا مــن كورال الأوبــرا. فأصوات الرجــال (الباص) عزف الإيقاع، وبعــض الردود فى اللزمات الموســيقية، وأصوات النســاء (الســوبرانو) عزفت اللزمات كمقدمة موســيقية، وبين الجمــل اللحنية. كما تم اســتخدامها فى عزف جمل فى خط موســيقى ثــان مصاحبا الخط الغنائــى (كونتربوينــت) أما صوت محمد فــوزى فيمثل طبقة مختلفة عن طبقتى الســوبرانو والباص عند الكورال، فهو من طبقة الباريتون.

وقد يكون محمد فوزى اســتعان بموزع موســيقى متخصص ودارس لعلوم الموســيقى، لكنه كمطرب وملحن ومنتج أيضا، يحسب له تاريخ الفن هذه التجربة الجذابة الجريئة النادرة.

□□□

وفى فيلم «معجزة الســماء» الذى تضمن أكابيللا «كلمنــى.. طمنى» وهو من إخراج عاطف ســالم ١٩٥٦، تضمن أول أغنية أطفال لنجم ســينمائى ومطرب كبــير، هى الأغنية التربوية «ذهب الليل.. طلع الفجر».

وكانت أفكار فوزى فى غناء الأطفال مدروســة وليس كل من درس الموسيقى أو غنى يمكنه أن يقدم شــيئا للأطفال. كما أنه ليس شــرطا أن يقدم أديب كبير أو طالب مرموق فنا أو فكرا يناسب الطفولة وقدراتهم العقلية والإدراكية.

كان محمــد فوزى يدرك الهدف من وراء الإقبال على هذه الخطوة الفنية الجريئة أيضا. وكان يــرى أن ثقافة الطفل هى مشــكلة دولة وأن أعباء ترجمــة الكتب الأجنبية وتكليف

الفنانين بالكتابة للأطفال وطبع هذه الأعمال على أسطوانات. لم يكن أحد يتمكن من أن ينهض بها إلا الدولة.

كتب أغنية «ذهب الليل ... طلع الفجر» الشاعر حسين السيد فى لون محبب من التوجيه.. يحض فيها الأطفال على المذاكرة والبعد عن الشقاوة، تقول كلماتها:

ذهب الليل.. طلع الفجر والعصفور صوصو
شاف القطة.. قالها بس بس قالت له نونو

□□□

ماما قالت له سيب القطة وخليها ف حالها
فات مدرسته ورمى كراسته وراح جر شكلها
راحت القطة مخربشة إيده لما مسك ديلها
وآدى جزاء اللى ما يسمعش كلمة ماما تقولها

□□□

أبله قالت له فيفى الحلوة زعلت من سوسو
راح يصالحها وباسها وهيه حلفت ما تبوسو
جابت الحبر وعاصت إيدها وجت بشويش جنبه
مسحت إيدها ف وشه وعملت أل إيه بتلاعبه
سوسو ضربها ومسك الحبر اللى فى إيدها وقلبه
على فستانها وشافهم بابا وضربها وضربه

ذهب الليل

ندر عليه لأجيلكو وأولع شمعة من شمعة
لحد الشبر ونص ما يكبر ويروح الجامعة
ميمى دكتور وسعاد دكتورة واحنا ندعيلكو
وصلاح يبقى محامى وتوتو قاضى يصالحكو
وعصام بكره حيبقى ظابط ويدافع عنكو
يفدى وادى النيل بحياته وحياته منكو

ذهب الليل

استخدم محمد فوزى فى لحن الأغنية آلة الأكورديون. وكانت هى الآلة المستخدمة فى مدارس مصر. فى طابور الصباح لعزف النشيد القومى. وفى حصص الموسيقى وحفلات المدارس فى المناسبات المختلفة من عيد الأم إلى ذكرى مولد الرسول عليه الصلاة والسلام.

أما اللحن فهو شجى جذاب وليس مدرسيا كالعادة فى أغانى وأناشيد المدارس للأطفال. وقد زاد من جاذبيته تقليد المطرب الكبير لصوت القطة فى «ناو ناو». والسرد المنطقى لكلمات الأغنية يتخلله ردود الأطفال للمذهب وبعض المقاطع.

أراد محمد فوزى أن يكوّن مكتبة لأغانى الأطفال. فقدم الأغنية التليفزيونية «ماما زمانها جاية» تأليف حسين السيد وإخراج محمد سالم، وكانت جديدة فى طالعها. يتخللها بكاء طفل تم نقله من أسطوانة ألمانية ومحاولة صوتية من فوزى لإسكاته بصوت تصوره الشفاة اعتاد الكبار أن يسكتوا به الأطفال. أما المصاحبة الموسيقية فكانت لآلة البيانو اللزمة الموسيقية إيقاعية والأداء تمثيلى غنائى بسيط ومعبر.

لحن محمد فوزى أغنية «كان وإن» للأطفال لتعريفهم بالثورة وأعمالها وشاركوه الحوار الغنائى وترديد مقاطع من الأغنية.

وليست أغنية الطفل وحدها هى الانفراد أو السبق الذى حققه محمد فوزى فى أفلامه. إنما انفرد بتقديم ألوان غنائية أخرى. فقدم أول أغنية لعيد الميلاد فى السينما العربية وهى: «يانور جديد فى عيد سعيد.. دا عيد ميلادك أحلى عيد» وقد غناها فى فيلم «نهاية قصة» عام ١٩٥١ وذلك بعد ثلاث سنوات من تقديمه أول أغنية رمضانية فى السينما العربية، وهى المسحراتى «يا عباد الله وحدوا الله» فى فيلم «بنت حظ». وقد قدم فى نفس العام أول أغنية عن الحج فى فيلم «حب وجنون» وهى أغنية «ياللى زرت البيت.. ومن زمزم اتوضيت.. وع النبى صليت».

أنتج محمد فوزى أول فيلم عربى ملون بالكامل، وكانت السينما العربية أنتجت بعض الأفلام التى تتضمن «بوبنيه» أو فصل من فصول فيلم بالألوان وهو ما حدث فى فيلم «لست ملاكا» لمحمد عبد الوهاب، الذى عرض ١٩٤٦.

أقبل فوزى على تجربة السينما الملونة فى فيلمين هما «نهاية قصة»، «بابا عريس» عام ١٩٥١. وتم تصويرهما بإرسالهما إلى فرنسا للتحميض فى معاملها، لكن الفيلمين أصابهما التلف هناك فأعاد فوزى تصوير الفيلم الأول بعد أن دفع أجور الفنانين والمغنين مرة ثانية

حتى بلغت تكاليف الفيلم ١٢٠ ألف جنيه وهى ميزانية كانت تكفى لإنتاج خمسة أفلام فى ذلك الزمان.

وابتكر محمد فوزى شكلا من الغناء الذى يخلط فى كلماته بين العربية ولغات أجنبية وهو ما سمى بالفرانكو آراب.. لحن «يا مصطفى يا مصطفى» ليغنيها «برونو» شقيق المطربة العالمية من أصل مصرى «داليدا» لكنها انتشرت وذاع صيتها بصوت المطرب النوبى بوب عزام ١٩٥٩ فكرر فوزى التجربة الفرانكفورابية فى أغنية ثانية هى «فطومة».

قدم محمد فوزى فى أفلامه اللون الكوميدى. كما أبدع فى ألوان أخرى من الغناء هو الاستعراض. والدويتو والتريالوج. ففى مجال الاستعراض قدم لأول مرة القصص الأسطورية فى قالب كوميدى ومنها أسطورتى «روميو وجوليت» و «مجنون ليلى».

أما الدويتو. فبالرغم من أنه ظهر فى الغناء العربى فى أعمال سيد درويش المسرحية وفى أفلام محمد عبد الوهاب. إلا أن محمد فوزى قد تميز فى تقديم دويتو. يتسم بالتعبيرية الخالصة مع خفة الظل. وفى إطار من الغناء الشرقى الجميل واللحن السهل الممتنع الذى عرفت به كل ألحان محمد فوزى. بالإضافة إلى فهمه العميق لطبيعة وقدرات الصوت النسائى الذى يشاركه فى أداء الدويتو.

غنت نور الهدى مع فوزى دويتو «أنا مش حلو» ودويتو «تعالى أقولك كلمة هناك» وغنت معه سعاد مكاوى دويتو على صورة مديحة يسرى. وغنى أكثر من دويتو مع شادية منها «متهيألى» فى فيلم «الروح والجسد» ١٩٤٨. وشارك ليلى مراد أكثر من دويتو. منها «ياسلام على كده» و «شحات الغرام» فى فيلم «ورد الغرام» ١٩٥١ و«أنا حبيتك الأول». و«فرحانة بحبى» فى فيلم «المجنونة».

ويعد دويتو «شحات الغرام» من أشهر ما غنى محمد فوزى وأيضا ليلى مراد. كتبه بديع خيرى ليعلم المشاهدين معانى الحب والشوق بلغة الشحاتين. وقد انتشر وصف محمد فوزى بـ «شحات الغرام».

ودويتو «مثلا» بين محمد فوزى وصباح. مثال رائع لهذا القالب ونموذج لالتزام فوزى بأسلوب التعبير اللحنى عن الكلمات بأسلوب جذاب لا يخلو من خفة الظل مع الشجن.

وأكثر محمد فوزى فى أفلامه من تقديم قالب «التريالوج» الذى يشارك فى غنائه ثلاثة أصوات رجالى أو حريمى. فقدم «الحب له أيام».. (محمد فوزى وشادية وإسماعيل يس).

«الفـراخ» (محمد فـوزى وليلى مراد وإسماعيل يس). «قالولى فـين الجمال» (محمد فوزى ونعيمة عاكف وسليمان نجيب).

كان نجوم الغناء العربى يعانون من الذهاب إلى العواصم الأوروبية من أجل طبع أغانيهم على أسـطوانات. ففكر محمد فوزى بعقلية الاقتصادى البارع الواعى فى مشـروع يحميهم من التعب والإرهاق. ويوفر على الدولة المال المصرى المنصرف خارجها. فكر فى إنشاء أول مصنع عربى لصنع الأسطوانات.

وبدأ البناء فى عام ١٩٥٩ فى حى العباسية بالقاهرة. وأشرفت على ذلك الفنانة مديحة يسـرى. وكانت زوجة لفوزى فى هذا التاريخ. بينما انشـغل هو بشراء الأجهزة والمعدات اللازمة من هولندا.

وقرر فوزى أن يتفرغ لإدارة مصنعه. على أن يتحول التلحين والغناء فى حياته إلى مجرد هواية. أطلق على مشـروعه «مصرفون» وتعاقد على احتـكار صوت أم كلثوم وصوت نجاة بالإضافة إلى ألحانه التى غناها هو والآخرون. كما يحسـب للشـركة زيادتها فى تسجيل القرآن الكريم على أسطوانات لأول مرة داخل مصر.

هـذا المصنع كان بوابة للمتاعب التى واجهـها محمد فوزى. أولها القطيعة التى قامت بينه وبين عبد الحليم حافظ وكانا صديقين فى البداية. فلما ركز فوزى اهتمامه فى مصنعه وشـركة الإنتاج التابعة له. اشـتعلت المنافسة بينهما باعتبار أن عبد الحليم هو الآخر كان قد أنشأ مع محمد عبد الوهاب شركة للإنتاج هى «صوت الفن».

أما قمة المتاعب التى جلبها المصنع لمحمد فوزى. وكانت سببا بتعجيل نهايته والأعمار بيـد الله. فهـو التأميم الذى انتهجته مصر لكل المشـروعات الخاصة الكبيرة عام ١٩٦١. وقد شمل «مصرفون» والفيلا التى كان يسـكنها فوزى فى شـارع الهرم ملحقا بها أستوديو للتسجيل وكذلك تأميم أستوديو العتبة للتسجيلات الخاص بفوزى.

أُبلـغ محمـد فوزى نبـأ التأميم فعلق يهدد: «أهلا وسـهلا.. دى حاجـة فى مصلحة الجميع» فلما ذهب ليسـتطلع الأمر. وبدعوة من المديـر الجديد للمصنع وقد عينته الدولة لهـذه المهمة. دخل على المدير وكان جالسـا إلى مكتبة. فمد يده مصافحا. ولم يمد المدير يده. ولم يسمح له حتى بالجلوس مبديا عدم الاهتمام بحضوره.

قال المدير لفوزى، أصدرت أمرا بتعيينك مستشـارا فنيا للشركة، ونادى على السكرتير ليصاحـب فـوزى إلى مكتبه الجديـد، وإذا به غرفة كانت مخصصـة لعامل البوفيه، تم تزويدها بمنضدة صغيرة وكرسـى خيزران، فانسحب فوزى معتذرا عن الوظيفة، وعاد إلى بيته لينام ثم يقوم صارخا من آلام شـديدة فى سـاقيه.. إنها بداية طريق الآلام من مرض مجهول لم يسـبق أن أصـاب مصرى أو عربى حتى أسموه الأطبـاء «مرض محمد فوزى» فلم يكن «سـرطان النخاع» قد عرف بعد، لكن المرض المجهول الرهيب، أسـرع بنهاية محمـد فـوزى ومات كمدا لما حدث له أو لما جلبه له هذا المشـروع الفنى الرائد، والأعمار بيد الله.

وأصدرت وزارة الاسـتثمار فى مصر عام ٢٠٠٩ سلسـلة نشـرات عن «رواد الاسـتثمار» خصـت محمد فـوزى بواحدة منها وقدمت ما يمكن اعتباره اعتـذارا له بعد تعرضه للظلم والاضطهاد والتعسف والقهر لمدة نصف قرن، وكان صاحب استثمارات فى الفن تزيد على ثلث المليون جنيه فى أوائل الخمسـينات وهو مبلغ كبيربمعيار ذلك الزمن وأن استثماراته تعرضت للتأميم من جانب الثورة واعتبر فوزى عدوا للشعب وعومل كصاحب ثروة مشبوهة. وفجرت النشرة تساؤلات بدءا من أهمية الاستثمار الفنى وجدواه مرورا بقصة التأميم ووصولا إلى فلسفة التأميم والتى لم ترحم حتى الاستثمارات الفنية. وأكدت أن التمييز ضرورى عند التطبيق العملى بين منشأة ومنشأة وبين مستثمر وآخر. ومن ثم فإنه وأيا كان الإطار القانونى المتبع فإن فنانا مثل محمد فوزى لا يسـتحق العقاب بالتأميم من ناحية لأنه أنشـأ مشروعا وطنيا غير مسـبوق، مما يسـتدعى التشجيع والدعم ومن ناحية أخرى لأنه لم يكن مستغلا أو عدوا للشعب، أو صاحب ثروة مشبوهة مجهولة المصدر.

وعودة إلى قصة التأميم كما ذكرها مرجع وزارة الاستثمار لم يكن محمد فوزى من الأغنياء الوراثيـين، فهو ابن بيئة ريفية فقيرة. وعندما انتقل إلى القاهرة فى أواسـط الثلاثينيات، عانى فى السـنوات الأولى، من الحرمان والشـقاء وشظف العيش. لكنه تجاوز تلك المرحلة البائسـة بالعمل المضنى الجاد واسـتطاع بموهبته الفذة أن يحظى بنجاح مسـتحق ومكانة فريدة فى عالمى السينما والغناء وصولا إلى تأسيس شركته الخاصة للإنتاج السينمائى فى عام ١٩٤٦. ومن خلال شـركته هذه حقق تراكما ماديا يتوافق مع موهبته العريضة من ناحية، ومع جهده ودأبه وحسـن إدارته من ناحية خرى. كان بعض أبناء جيله من الفنانين ينفق

النقود عبثا دون ادخار أو تفكير اقتصادى استراتيجى، وكان البعض الآخر يستثمر أرباحه فـى اقتناء العقارات وشـراء الأراضى والتوجه نحو المشـروعات التجاريـة مضمونة الربح السريع. أما محمد فوزى فقد قرر أن يخوض تجربة منافسة ممتعة ومعقدة وأن يتوج رحلة كفاحه بمشروع وطنى متميز يقدم من خلاله خدمة جليلة للفن والفنانين بكل تحويشة العمر التى بلغت ثلاثمائة ألف جنيه، وهو مبلغ ضخم بمقاييس منتصف الخمسينيات من القرن العشرين.

أسـس محمد فوزى شركة «مصرفون» لإنتاج الاسطوانات هادفا بمشروعه المبتكر هذا إلى ضرب الاحتكار الأجنبى لسـلعة حيوية هى الأسـطوانات الموسيقية والإنتاج الغنائى. وكم كانت خزينة الدولة تتكلف من أعباء مادية فى سبيل استيراد ما لا غنى عنه.

ولد المشـروع عملاقا فى الثلاثين من يولية ١٩٥٨، افتتحه وزير الصناعة الدكتور عزيز صدقى مسـتندا إلى الفكرة الإيجابية البناءة التى توفر العملة الصعبة، ويتيح إنتاج أسطوانة محلية رخيصة السـعر، لا يزيد سعرها على خمسة وثلاثين قرشا وغير قابلة للكسر ويمكن اسـتخدامها على الوجهين، فتتسـع لأغنيتين، بينما كانت أرخص أسطوانة مستوردة فى ذلك الوقت بجنيه كامل ولا تستوعب إلا أغنية واحدة، وقابلة للكسر.

وإذا كان المواطـن العـادى قد أفاد من مشـروع محمد فوزى فإن الفنانين أنفسـهم كانوا أكثـر إفادة، ذلك أن الشـركة قد وضعت نظاما جديدا فـى التعاقدات لم يكن موجودا من قبل، يحصل الفنان بمقتضاه على نسـبة من إيراد بيع الأسـطوانات التى تنتجها الشركة. وبدأ تطبيق هذا النظام مع أم كلثوم. وكان المتبع من قبل عند سيطرة شركات الأسطوانات الأجنبية على السـوق فى مصر أن يمنح الفنان مبلغا من المال مقابل حق اسـتغلال أغانيه، ومهما تحقق هذه الأغانى من الإيرادات والأرباح لا يحق للفنان المطالبة بمبلغ إضافى، فجاء محمد فوزى ليمنح زملاءه من الفنانين ما يعرف بحق الأداء العلنى والطبع الميكانيكى، فقد كانت القوانين فى ذلك الوقت تخص المؤلف والملحن فقط فى الحقوق.

بينما يسير العمل بحس اقتصادى لا يغفل الجوانب الإنسانية وإذا بسيف التأميم يهوى فجأة على الشـركة الوليدة، ويسـتيقظ محمد فوزى ذات صباح ليجد نفسه مدينا للمصنع الذى كان يملكه، بعد أن أنفق كل مدخراته ولم يعد له إلا راتب شهرى محدد لا يزيد على مائة جنيه.

ويطرح مرجع وزارة الاستثمار تساؤلا مهما، وهو: كيف يكون التأميم عقوبة نجاح وطنى غير مسبوق. أشاد به وزير الصناعة نفسه وهو يفتتح المشروع؟ لقد أحسن الفنان الكبير إدارة المشروع متفرغا له وساعيا إلى المزيد من التوسع والازدهار. وكان يشعر فى أعماقه بالارتياح والسعادة. فهل من ريادة سبقت مبادرته هذه على مستوى الشرق الأوسط؟ وهل من فخر يفوق حرصه على تجهيز أستوديو حديث لتسجيل الأغانى؟

كانت الشركة هى الأولى من نوعها فى الشرق الأوسط وتملك مصنعا حديثا لصناعة أسطوانات. ولها أستوديوهات فى مدينتى القاهرة والإسكندرية. وقد استقدم محمد فوزى لها خبراء متخصصين ليتعلم منهم المصريون أسرار الصناعة الجديدة، وأصبحت أسطوانات أغانى المطربين والمطربات تسجل وتطبع فى مصر بعد أن كانوا يلجأون إلى اليونان وفرنسا وإيطاليا.

اقتحم فوزى مجالا - الكلام مازال لنشرة وزارة الاستثمار - أضاف إلى الحياة الفنية والحركة الاقتصادية أبعادًا جديدة بالتشجيع. لكن الحكومة المصرية أممت الشركة ١٩٦١ وأهدرت جهد الفنان الذى اجتهد. فناله العقاب. وقد باع محمد فوزى فى سبيل مشروعه الناجح كل ما كان يملكه من الأراضى والعقارات. وأضاف إلى ذلك أمواله السائلة. ثم جاء التأميم ليسلب كل شىء. ويعرض على الفنان أن يكون موظفًا ذا راتب محدود وبلا سلطة حقيقية. مما حول الرجل إلى شخص آخر مكتئب لا يريد أن يتكلم عما بداخله وكأنه يحمل هموم الدنيا بأكملها. فقد عاملوه بقسوة وعنف وبدلا من أن يعينوه مستشارًا على شركته كما جرى عرف ذاك الزمان سجنوه داخل مكتب صغير وأجبروه على الصمت فامتلأ جسده النحيل بالحسرة وبدأ رحلة مريرة مع المرض.

□□□

إذا كانت نشرة وزارة الاستثمار فى مصر وقد تضمنت هذه التفاصيل تعد اعتذارًا للفنان الرائد.. فقد جاء بعد فوات الأوان، ليرد للرجل بعض حقوقه. فالشكر لوزارة الاستثمار وجنة النعيم للفنان الذى مات مظلومًا.

اسمه محمد فوزى (اسم مركب) والده هو حسن عبد العال الحو، ولد يوم ٨ أغسطس ١٩١٨ فى قرية أبو جندى مركز طنطا. الأب فلاح والأم غير متعلمة والأولاد خمسة أكبرهم فوزى وثالثتهم جمالات بهيجة (هدى سلطان فيما بعد) وتصغر شقيقها بعشر سنوات

كاملة. وباقى الأشقاء خديجة الحورية وأحمد نظمى وزينب عواطف (المطربة هند علام فيما بعد). «لاحظ كل الأسماء مركبة وكان ذلك تقليدًا ريفيًا فى مصر من أجل إرضاء أسرتى الأب والأم».

الوالد كان يتمتع بصوت حلو. وجمال التجويد للقرآن الكريم. وكان يجمع أقاربه وأصدقاءه وجيرانه ويتلو عليهم ما تيسر من آيات الذكر الحكيم. والوالدة كانت هى الأخرى تجمع الجيران والأقارب. وتأتى بسيدة مقرئة تتلو عليهن القرآن الكريم.

المناخ المنزلى وقور لا يتيح الفرصة لممارسة أى وسيلة للتعبير الفنى. لذلك كان الطفل محمد فوزى دائم الهروب إلى الشارع. وكان يحلم بأن يكون مطربًا شهيرًا مثل سيد درويش.

فى طنطا وفى المدرسة الابتدائية. كان يتجمع التلاميذ حول زميلهم فوزى ليستمعوا منه إلى أغانى محمد عبد الوهاب وأم كلثوم. قبل أن يهرولوا إلى ملعب كرة القدم جميعًا.

أما يوم الجمعة. يوم الإجازة المدرسية فهو يوم المنتزه. وفى حديقة المنتزه فى مدينة طنطا تعزف فيها فرقة موسيقى الملجأ العباسى. وما أن تنتهى الفرقة من تقديم برنامجها حتى يبدأ برنامج فوزى استثمارًا للتجمع الجماهيرى الموجود فى كشك الموسيقى. يبدأ الغناء «كلنا نحب القمر» وبعدها «حسدونى وباين فى عنيهم» بعدها «ياجارة الوادى» ثم ينتقل من أغنيات محمد عبد الوهاب إلى أغانى أم كلثوم فيغنى «اللى حبك يا هناه» ومنها إلى « «يا أمر الفراق».. والتصفيق متواصل بعد كل أغنية، وطلبات الجمهور مجابة من المطرب الصغير الذى لم يبلغ من العمر أكثر من اثنى عشر عاما.

كان جمهور حديقة المنتزه يضم فى بعض الأحيان متعهدين لحفلات الأفراح والليالى الملاح التى يقيمها أهل طنطا فى المناسبات الاجتماعية. اتفق واحد من هؤلاء المتعهدين مع المطرب الصغير على إحياء فرح. الطفل نام بدرى استعدادًا للسهر. ولما جاء الموعد صعد ليغنى للعروسة أم فستان أبيض والعريس أبو بدلة سوداء. فماذا غنى؟ أيها الراقدون تحت التراب!! إنه طفل لم تتسع مداركه بعد ليعرف ماذا يغنى ولمن، إنه يغنى من أجل الغناء. ولم يمنع نفسه. فلم يكن قد تحول الغناء إلى مهنة أو وسيلة للعيش. ولم يكمل المطرب وصلته الأولى. وتم طرده شر طردة. ومع ذلك فلم يرتجع المتعهد إياه عن استغلال الطفل الموهوب، خاصة أنه لم يكن يعطيه أجرًا. ويغنى بلوشى.

فى مدرسة طنطا. أعجب أستاذ التاريخ بصوت الطفل الموهوب ونصحه لوجه الله أن يدعم موهبته بالعلم، وأرشده لمدرس يمكن أن يتعلم منه طريقة العزف على آلة العود بالإضافة إلى تحفيظه بعض الموشحات والأدوار القديمة اللازمة لصقل الصوت. المدرس كان عسكريا فى فرقة موسيقى المطافىء بطنطا اسمه محمد الجربيلى.

اتسعت دائرة النشاط الغنائى لمحمد فوزى، من فرح لفرح، ومن مولد فى هذه القرية إلى مناسبة فى قرية أخرى.. انتظارا للموسم السنوى الكبير. وهو مولد السيد البدوى. رضى الله عنه. فيه تقام «النصبات» لكبار منشدى مصر ومبتهليها يأتون من كل فج عميق. فيقيم المطرب الصغير «نصبة» صغيرة إلى جوارهم ومافيش حد أحسن من حد.

والأطفال يجب أن يتوقفوا عن الغناء عند سن المراهقة حتى لا تصاب أحبالهم الصوتية بالتلف. ومن الناحية التربوية فإن سهر الأطفال لساعات متأخرة من الليل سلوك غير تربوى.

كان ذلك سببا وجيها ليسعى جورج روتير المشرف على كورال كاتدرائية سانت سطوفان لمنع هايدن من الاشتراك بالإنشاد فى الكورال عندما بلغ سن المراهقة، وهو نفس السبب الذى من أجله أبلغ أمير الشعراء أحمد شوقى حكمدار العاصمة ليمنع الطفل محمد عبد الوهاب من الغناء فى سن المراهقة، وهو السبب الذى دفع الكاتب فكرى أباظة، ومحمد عبد الوهاب للمطالبة بوقف الطفلة نجاة حسنى «نجاة الصغيرة فيما بعد» عن الغناء فى سن الطفولة عندما استمع إليها وهى تغنى فى حفل بالإسكندرية.

وقام بوليس طنطا بدور جورج روتير وأحمد شوقى وفكرى أباظة بالنسبة لمحمد فوزى. فقبل أن يبدأ وصلاته فى المولد، جاءه عسكرى يطلب الذهاب معه للقسم، مطلوب للمقابلة مع البيه الضابط.

لم يذهب فوزى مع العسكرى وقال له «روح قول للبيه الضابط الجمهور ينتظرنى ولا أعرف متى أنتهى من الغناء».

وما هى إلا دقائق وإذا بالبوليس والزبانية يقلبونها ضلمة. هد ياواد، اطف ياجدع، وارتدى الجمهور فى لحظات طاقية الإخفاء.

لم يكن السرادق مخصصًا لغناء فوزى فقط، إنما لبرنامج طويل عريض من رقص وغناء واسكتشات. وقد أضير كل العاملين فى هذه الفقرات من هدم السرادق فأخرجوا همهم

الكبير فى الضرب والتلطيش للمطرب الصغير الذى تسبب فى قطع رزقهم الليلة وربما كل ليلة بعدها.

انتقل فوزى إلى المدرسة الثانوية بطنطا، وقد سبقته إليها شهرته كمطرب محلى، ومثلما حدث فى المدرسة الابتدائية، كان التلاميذ يتجمعون حوله فى الفسحة وبين الحصص ليغنى لهم.

وحدث أن جاءت فرقة موسيقية بقيادة عازف الإيقاع الشهير مصطفى العقاد فى رحلة عمل إلى طنطا، واستمعوا إلى صوت الصبى وتحمس له العقاد فاقترح عليه السفر إلى القاهرة للالتحاق بمعهد الموسيقى الشرقى وكان عضوًا لمجلس إدارته، فذهب الصبى إلى والدته التى طالما شجعته على الغناء بعيدًا عن أسماع والده الذى لو علم بنية ابنه لقطع خبره. فاحتراف الفن عيب لا يتفق مع تقاليد أسرة «الحو» أكبر أسر كفر أبو جندى غربية وأغناها. ومرة اشترى فوزى آلة عود، فلما لمحها والده، كان مصيره كمصير عود محمد عبد الوهاب فى فيلم «يحيا الحب» عندما بكاه بأغنيته «الظلم دا كان ليه».

انخلع قلب الأم عندما أخبرها ابنها بنيته على السفر للقاهرة، وحاولت إثناءه عن عزمه، لكنها فشلت. وسافر الولد إلى بلاد الغربة.. إلى البندر، إلى مصر، واتجه إلى مصطفى العقاد فى المعهد وفوجىء بأن مساعدته لن تزيد على تقديم طلب ليوافق المعهد على دخوله امتحان القبول. وكان يتصور أنه بواسطة العقاد سوف يأتى من طنطا إلى فصل سنة أولى أول فى المعهد بدون امتحان، وغنى الصبى أمام لجنة كبيرة، كانت مكونة برئاسة مصطفى بك رضا رئيس المعهد وعضوية د. محمد الحفنى وإبراهيم شفيق وصقر على وإبراهيم حجاج. غنى «كلنا بنحب القمر» لعبد الوهاب و «ياما أمر الفراق» لأم كلثوم، ولما طالبته اللجنة بغناء ما هو أقدم «موشحات» أدوار.. عاش لحظات صمت رهيب تفضحه عيونه بقولها «من قال لا أدرى فقد أفتى».

لكنه نجح، وتم قبوله طالبًا بمعهد الموسيقى الشرقى فى الإسعاف ولم يكن الصبى المطرب يتصور أن بنجاحه قد خرج من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. أين سيعيش؟.. وبماذا؟ لقد جاء من طنطا وكل زوادته خمسة جنيهات اقتربت من الفناء، إن لم يكن قد تم ذلك فعلا.

أمام مبنى المعهد، شارع التوفيقية وهو شارع تجارى وبه غرف كثيرة للإيجار بأسعار تناسب ميزانية أهل الريف الزائرين للقاهرة، وهو قريب لمحطة مصر. فلن يعانوا كثيرا فى البحث عن «نومة» الفرش حصيرة وفوقها مرتبة. أما اللحاف فهو من الكماليات والأجر يومى قروش معدودات.

أرسل فوزى مكتوبا إلى والدته يسترحمها أن تمده بالعون المادى. فرق قلبها وقررت أن ترسل له مددا قدره جنيه شهرى. وكانت ترسل له حوالة بريدية بالمبلغ. وكانت شقيقته «جمالات بهيجة» تضعها له فى أقرب مكتب حوالات بريدية. واحتفظت الأم والأخت بالسر حتى لا يصل للوالد.

صحيح أن الجنيه كان «مبلغ عال ومش بطال» فى ذاك الزمان. لكن ليس إلى الحد الذى يكفى شابا فى غربة لمدة شهر. يأكل ويشرب وينام ويتعلم. أما الأكل فقد وجد له حلا وهو عمل «أبونيه» عند محل حلوانى فى شارع التوفيقية ليأكل فيه طوال الشهر بسبوسة، وجاتوه، وهريسة، وأرز بلبن. ولما يصل المدد من البلد يدفع «الإنجرارة» الشهرية.

كان على فوزى أن يبحث عن طريق جديد يضمن له كسب قوت يومه بعيدا عن المعجونات والحلويات. ويدفع مصاريف المعهد. فاتجه إلى الغناء فى مسارح الليل. وكان مسرح بديعة مصابنى هو المأوى والمصنع لكثير من نجوم الغناء والتأليف والحركة والأداء الاستعراضى. التحق بالعمل فيه بأجر قدره سبعة جنيهات شهريًا. وانطلق. ويكفى أنه أصبح زميلا لفريد الأطرش وإبراهيم حمودة وعبد الغنى السيد وإسماعيل يس ومحمود شكوكو والمنولوجست سيد سليمان وثريا حلمى وتحية كاريوكا وسامية جمال ومحمود الشريف وعزت الجاهلى. والفرقة فى موسم الصيف تعمل فى شارع كازينو الجهاد، وفى الشتاء على مسرح «سويت ميلودى» فى شارع عماد الدين.

وكان قلب فوزى ضعيفا من ناحية الجنس الناعم. ففى وسط هذا المناخ الفنى الكبير. خفق قلبه لزميلته الراقصة «لولا» والصبّ تفضحه عيونه. وصل إلى الزملاء والزميلات. ومنهن إلى صاحبة الفرقة وكانت تلتزم فى إدارتها بقانون صارم غير قابل للنقض أو الإبرام، هو ممنوع الحب. العلاقات العاطفية الخاصة بين أفراد الفرقة. وإذ ضبط عضو مُتلبسا بالحب. فالعقوبة واضحة ومحددة هى الفصل.

فصلت بديعة «لولا» فاعترض محمد فوزى، وأخذته الشهامة الفلاحى، واستقال احتجاجًا على ذلك، وظ فى السبعة جنيهات من أجل الحب.

وكانت الفرق المتجولة فى أقاليم مصر ومديرياتها قد تكونت لتمارس نشاطها كما فعلت فرقة «على الله الشفا» فى فيلم «حب وجنون» فاتفق فوزى ولولا على تكوين فرقة، هى ترقص وهو يغنى من ألحانه، وبعض أغنيات الآخرين، وعادت الفلوس تجرى، ثم عادا إلى القاهرة.

التحق فوزى بفرقة فاطمة رشدى مطربًا واقتنعت به ملحنًا، وكانت أول من غنى له على المسارح أو فى السينما، ولحن لها اسكتشات ومسرحيات، استمر فى الفرقة لمدة سنة كاملة وألحقته بالفرقة القومية المصرية كدوبلير للمطرب إبراهيم حمودة بطل أوبريت «شهرزاد» من تأليف بيرم التونسى وألحان سيد درويش.

لم يلتقط فوزى أنفاسه فى الفرقة القومية، ولم يعط الفرصة ليفرح بتخرجه فى هذا العام من معهد الموسيقى الشرقى وتعويضه عن فشله فى الحصول على شهادة التوجيهية من مدرسة طنطا الثانوية، فقد أصيب إبراهيم حمودة بمرض منعه من الوقوف على المسرح فى ليلة افتتاح أوبريت «شهرزاد»، ووقف الدوبلير محمد فوزى مكانه دون أن يأخذ الوقت اللازم ليحفظ الألحان الوطنية والعاطفية الصعبة فى الأوبريت الكبير، وكانت النتيجة فشل ذريع.

لم يكن الغناء المسرحى محببًا عند فوزى، فقد مارسه فى مسرح بديعة، وفرقة فاطمة رشدى، ثم ابتعد عنه طوال تاريخه، ولما غنى فى البرنامج التليفزيونى «على شط النيل» فى أواخر حياته لم يظهر فى المستوى الفنى المعهود عنه، فقد كان يخشى الوقوف على المسرح ويخشى الجمهور على الرغم من حضوره المسرحى وحب الجمهور له، ذلك الحب الذى كان مبنيا على أساس نجوميته فى السينما أكثر من نجوميته كمطرب.

ظل فوزى يغنى فى حفلة هنا وسهرة هناك، وفى واحدة من هذه الحفلات كان من بين الجمهور يوسف بك وهبى الذى لفت نظره الصوت الجميل المتمكن والحضور الكبير، فأسند إليه دورا ثانويا فى فيلم «سيف الجلاد» ١٩٤٤، وبأجر قدره ٨٠ جنيها.

وابتدأ مشوار السينما ووصل أجره إلى ١٥٠٠ جنيه فى رابع أفلامه «أصحاب السعادة» ثم إلى خمسة آلاف جنيه، وقد قام فوزى ببطولة ٣٦ فيلما بدأت بأدوار صغيرة نسبيًا فى الأفلام الثلاثة الأولى «سيف الجلاد» و «قبلة فى لبنان» و «مجد ودموع».

أما غزارة الإنتاج من خلال أفلامه فكان مرجعه إلى قدرته على التلحين بسرعة واضحة، حتى إنه كان ينتهى من لحنين فى اليوم الواحد، وربما ساعده على ذلك أنه كان يلتزم البساطة فى التعبير عن المعانى التى يلحنها، فلا يحتاج إلى وقت من أجل الزخرفة أو الفذلكة فى وضع اللزمات الموسيقية أو مقدمة الألحان.

ظهر محمد فوزى عام ١٩٤٨ فى خمسة أفلام هى: «حب وجنون» و «الروح والجسد» و«بنت حظ» و «نرجس» كما عمل فى السنة التالية فى أربعة أفلام هى «المجنونة» و«المرأة شيطان» و«فاطمة ماريكا وراشيل» و«صاحبة الملاليم». وفى عام ١٩٥٠ ظهر فى أربعة أفلام أيضا. هى: «آه م الرجالة» و «بنت باريس» و «الآنسة ماما» و «غرام راقصة».

فى أفلامه الستة والثلاثين غنى محمد فوزى «احنا عشاق النور». «ازاى وامتى». «آه من الستات». «ابتسمى للدنيا». «أدى الميعاد». «الحيرة ليه». «آه يا حبيبى منك» «أحلف لك ميت يمين». «روحى وروحك». «اللى يهواك اهواه». «القمر وانت». «السعد واعدنى». «الليلة حلوة». «الحب له أيام». «انت حبيت». «أى والله». «الشوق». «بصيت لى فى أول يوم». بتقوللى إيه حيجرى». «تمللى فى قلبى». «صعبان عليه». «طير بينا يا قلبى». «جانى اللى بحبه». «جمالك بيزيد فى عنيه». «حبيبى وعنيه». «حبك خلانى روح». «حبيب روحى». «حبنى انت كمان». «حبايب». «حبيبى حلفنى أجيلك». «دارى العيون». «دارى الهوى». «سهرانة عيونه». «شغلته». «ع الباب أنا». «غنى للدنيا». «فين اللى شغل بالى». «فين قلبى». «ليه عشم وياك يا جميل». «من نظرة عين». «مال القمر ماله». «مين هيه». «ويلك.. ويلك». «والله والله يا حلو زمان». «وحياتك أنت». «ليه أنساك». «يا ليالى الشوق». «ياللى افتكرت وجيت تانى». «يا نور جديد». «ياللى شغلت القلب معاكى». «يا جميل ياللى هنا». «يا سلام يا سلام». «يا جارحة القلب». «يا هل ترى». «يامين يقولها». «ياللى أنت بعيد». «يا حبيبى خد عينيه». «قلبى بهواك مشغول». «قلبى بينادى عليكى».

قدم محمد فوزى الفنانة شادية فى فيلم «العقل فى إجازة» الذى أخرجه حلمى رفلة عام ١٩٤٧، وشاركت معه فى أفلام «صاحبة الملاليم». «الزوجة السابعة». «بنات حواء». ووضعها على طريق النجومية المبكرة من خلال لون غنائى جمع بين الشقاوة وخفة الظل البريئة.

كان فوزى يقول عن شادية إنها ابنته مثل القطة الودودة. عيناها تمتلىء بالمرح والشقاوة. وقد قدمها فى فيلم «العقل فى إجازة» وكان بمثابة أول فيلم تقدمه. وقدم لها ألحان الفيلم ودربهـا. وكانـت تأتى لتجلس معه ومعهما هدى سـلطان لإجـراء البروفات. وقد اتبعت شـادية نهج مدرسـة فوزى الفنية فى الأغانى التى تحمل الروح المرحة الخفيفة على أذن المستمع والتى يمكن أن يستمع إليها فى أى وقت ومنها «أنا بنت حلوة» و «لقيته وهويته» و «لا يا سى أحمد» و «كتروا الخطاب» و«الحب له أيام».

وكان محمد فوزى قد اعترض بشـدة على أن تحترف شـقيقته جمالات بهيجة الغناء، وقاطعها لهذا السـبب، لكنها شـقت طريقها باسم «هدى سـلطان» ونجحت فى السينما والغناء وتزوجت من النجم الكبير فريد شوقى..

كانـت هدى صديقة لمديحة يسـرى الزوجة الثانية لمحمد فـوزى، وكانت تطمئن على شـقيقها الأكـبر منها وتتابع أخبـاره دون أن يدرى بذلك. وفى يـوم، علمت هدى بمرض شـقيقها، وكانت حاملا فى ابنتها ناهد فريد شـوقى، اتصلت بمديحـة ترجوها أن تقنع زوجها أن يسامحها وقالت إنها لم تعد تحتمل البعاد عن شقيقها أكثر من ذلك. ولا تحتمل أن يكون مريضا دون أن تزوره، فقالت لها مديحة: تعالى وفاجئيه. وفعلت ذلك.. فاستقبلها فوزى بالأحضان وسط الدموع من كلا الشقيقين، وعاتبها على بعادها عنه وشرح لها وجهة نظـره واعتراضه على احترافها الفن، ولما علم أنها بخير وقد تزوجت رجلا محترما نسـى موقفه ضدها، وأصبح فريد شوقى من أعز أصدقائه.

بعـد أن تم الصلـح بينهما، دعته لحضور حفل عيد ميلادها فذهب لأول مرة إلى منزلها متأخـرا، وجاء حاملا عوده. ولما بدأت فقـرة تقديم المدعوين الهدايا لصاحبة عيد الميلاد، أمسـك العود وغنى لها «لامونى وارتضيت باللوم.. وفى عيونى اشـتهيت النوم، ولامونى» وقال لها لم أجد أحسن من هذا اللحن أقدمه لك هدية لعيد ميلادك.

وبـدأ التعـاون الفنى فغنـت هدى من ألحانه «يـا ضاربين الـودع»، «عمرى ما دقت الحب»، «متع شـبابك بالأمل»، «محسـودة فى حبك»، «يا مجربين الحب»، «إن كان القلـب وهبتو لك»، «ضحيت بحبك»، «يا حلاوة الـورد»، «معرفش يا نينه»، «مافيناش من قولة آه»، «إنسـانى»، «عيونك بدها تسلم»، «مكتوب الهوى»، «قلبى يا قلبى»، «بعد الأم ما فيش حنية».

ثم أنتج محمد فوزى فيلم «فتوات الحسينية» لهدى سلطان وزوجها فريد شوقى عام ١٩٥٤.

تقدم محمد فوزى إلى الإذاعة ليغنى بها. وعقدت لجنة لاختبار صوته. ورسب. لكنها اعتمدته ملحنا. ولم تعتمده كمطرب إلا بعد قيام ثورة ١٩٥٢. واستهل نشاطه بها بمونولوج «بين النخيل والبدر طالع» من تأليف قاسم مظهر. وتلحين سعيد فؤاد مدرس آلة العود بمعهد الموسيقى الشرقى.

واستقبل جمهور الراديو صوت فوزى استقبالا حسنا وقد استمعوا فيه نبرة جديدة وحسا مرهفا وأداء معبرا مرحا فيه طرب وشجن وحنان.

ولحن محمد فوزى عددا من الأغانى للإذاعة من ألوان مختلفة كالقصيدة الدينية والوطنية. والأغنية الشعبية والخفيفة. منها ما لحنه وغناه. ومنها ما لحنه لغيره من المطربين.

القصائد الدينية هى استغاثات - تلبية - سبحان من عنت الوجوه - يا غفور، وكلها من الشعر القديم. ومن أشعار محمود حسن إسماعيل. لحن وغنى قصائد «توبة الأيام»، «تسابيح»، «دعاء»، «ربى سبحانك» ومن شعر عبد الله شمس الدين غنى «يا رب يا سند الضعاف».

كما غنى «بشراك يا صايم» تأليف بيرم التونسى و «مناجاة» تأليف حيرم الغمراوى و«هاتو الفوانيس يا ولاد» تأليف نبيلة قنديل.

من تأليف صلاح فايز غنى محمد فوزى للإذاعة: «بعد بيتنا ببيت كمان» و «يا ولاد بلدنا يوم الخميس» و «قلبى اللى انت ناسيه» و «اللى حسبته لقيته» والأغنية الوطنية «قد القول».

ولحن محمد فوزى للإذاعة ٣ برامج غنائية هى «الصديق» تأليف عبد الفتاح مصطفى، إخراج حسنى الحديدى، غناء نجاح سلام وسعاد محمد و «قيس ولبنى» تأليف عزيز أباظة و «شجرة الحب» تأليف بيرم التونسى.

ولحن «شهر الكرم» لأحمد سامى و «زغروطة عشان العروسة» لإلهام بديع، وغنى محمد قنديل من ألحان فوزى «عشان سواد العين»، «ياللى جمالك عجب»، «يا غزالة». أما محمد عبد المطلب فغنى «ساكن فى حى السيدة وحبيبى ساكن فى الحسين» و «لا قابلتك

ولا كلمتك». وغنى له ماهر العطار «التليفون» وعبد اللطيف التلبانى «خفة دمك مش على حد».

وغنت أحلام من ألحان فوزى «سهرت أيام وليالى» و «فرحانة بحبى» و «على أسيوط». كما غنت نجاح سلام من ألحانه «يانى منك يانى». وغنت نجاة الصغيرة «مش ممكن أسامحك». «غنيت للناس». و «هالله هالله». أما نجاة على فغنت «عاشق السهر» وقصيدة «وداع»؛ وغنت وردة «الله بيقدرنى عليك» وسعاد محمد «أنا ناسية أهلى وناسى» و «شوف بحبك قد إيه» و «غنوة لبلدنا» و «كلمة حب». وغنت شهرزاد «بعدين حقولك». وغنت شريفة فاضل «آه يانا منك» و «خد منى وردة» و «عاجبنى». وغنت المجموعة «طير يا طاير» و «شد الحزام». وغنى عبد الغنى السيد «الحب ضنانى».

أما المطربات اللاتى شاركن فوزى بطولة أفلامه فهن ليلى مراد. وصباح. ونور الهدى. وفايزة أحمد. ونازك. بالإضافة إلى شادية. فقد ظهرت صباح معه فى أفلام «عدو المرأة» و«صباح الخير» و «الآنسة ماما» و «الحب فى خطر» و «فاعل خير» و «ثورة المدينة».

وشاركته ليلى مراد بطولة فيلمى «المجنونة» و «ورد الغرام». أما نور الهدى فقد قاسمته بطولة أفلام «مجد ودموع» و «قبلنى يا أبى» و«نرجس» و «غرام راقصة». وغنت معه فايزة أحمد فى آخر أفلامه «ليلى بنت الشاطىء» اسكتش «النبع» و «يا ساهر الليل». كما ظهرت معه نازك فى فيلم «كل دقة فى قلبى» وغنت أغنية بهذا العنوان وشاركته غناء «أحن أم فى الدنيا قلبك انتى يا أمى».

فى زمن محمد فوزى، كان الغناء الوطنى فنا محببا إلى نفس المطرب والمستمع وعبرت الأغنية عن إنجازات وإحساسات شعبنا العربى. وكان محمد فوزى يتحلى بروح وطنية عالية وحب صادق لبلده والأشقاء العرب، وله ٢٦ أغنية وطنية فى مكتبة الإذاعة المصرية، بالإضافة إلى النشيد القومى لدولة الجزائر.

أما أغانى الإذاعة فمنها أغنيات «أرض بلادى»، «مصر فوق الجميع»، «عيد الأحرار»، «الشعب الحر»، «الحياة ثورة»، «شعب لازم ينتصر»، «رسالة إلى جندى»، «علم الثورة»، «ياطالع الشجرة» وقصيدته الشهيرة «بلدى أحببتك يا بلدى.. حبا فى الأهل وفى الولد».

ولما سافر للعلاج فى مرضه قبل الأخير لحن أثناء عودته على الباخرة «جايلك بشوق يا بلادى من بعيد.. جايلك وحاسس إنى مخلوق جديد. عديت بحور.. خطيت جبال..

دست السحاب.. ومشيت على جرحى.. وأنا عز الشباب.. عشان أبوس فيك الشوق.. حبة تراب.. جاى من بعيد.. إنسان جديد.. جايلك وأول مرة أحس إنى سعيد.. يا أم البلاد».

ولحن محمد فوزى النشيد القومى للجزائر فى أقل من ساعتين. وكان نص النشيد قد أرسلته الحكومة الجزائرية وطلبت تكليف أحد الملحنين المصريين بتلحينه. فلما علم فوزى بالخبر، اتصل بمحمد حسن الشجاعى، مراقب الموسيقى والغناء وطلب منه أن يقوم هو بهذا العمل. وكان الشجاعى يرى أن فوزى قد تخصص فى الأغانى العاطفية والخفيفة. لكن فوزى ألح فى طلبه حتى وافق الشجاعى، وبعد ساعتين اتصل فوزى بالإذاعى أحمد سعيد رئيس إذاعة صوت العرب ليخبره بأن اللحن قد تم إنجازه، وأن الفرقة الموسيقية أجرت البروفة عليه ويرغب فى تسجيله فورا. فكان له ما أراد.

كان ذلك عام ١٩٥٦ عندما كتب الشاعر الجزائرى مفدى زكريا نشيدا وطنيا يعبر عن الثورة الجزائرية يقول فيه: «قسما بالنازلات الماحقات والدماء الذاكيات الطاهرات – والبنود اللامعات الخافقات – فى الجبال الشامخات الشاهقات – نحن ثرنا فحياة أو ممات – وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر – فاشهدوا، فاشهدوا.. فاشهدوا».

وكان الملحن التونسى على السريتى قد لحن هذه الكلمات بلحن رأى الجزائريون أنه جاء أقل وأضعف من معانيها، فاتجه الشاعر مفدى زكريا إلى القاهرة لإعادة تلحينه مرة أخرى. واتجه للإذاعة المصرية ليصبح اللحن من نصيب محمد فوزى الذى قدمه للشعب الجزائرى كهدية ورفض أن يتعاطى عنه أجرا. وقد طلب الثوار الجزائريون من فوزى غناء النشيد بصوته، لكنه رفض وفضل أن يسمعه بصوت الثوار.

وفى مجال التلحين للدراما لحن محمد فوزى مسرحية للأطفال بعنوان «صحيح لما ينجح» لمسرح العرائس، وأوبريت لهم أيضا بعنوان «الأرنب والسلحفاة» أنتجه التليفزيون المصرى.

□□□

فى أوائل الأربعينيات كان محمد فوزى من سكان حى السكاكينى بالعباسية ولأن الحرب العالمية الثانية قد بدأت بشائرها فى الظهور. فقد قررت أسرة الآنسة هداية النزوح إلى القاهرة. فهى أكثر أمانا من الإسكندرية وبعدا عن القوات البحرية. للدول المتحاربة. كان فوزى لم يبلغ من العمر إلا ٢٥ سنة. أما هى فعمرها ١٦ سنة. تعرف بعائلتها.

وطلبها للزواج ورفضت أسـرتها. فهو فنان والفن مهنة غير مرغوب فيها عند العائلات فى ذلـك الزمن. ثم إنه فنان غير معروف. يا دوب يعمـل دوبليرا لإبراهيم حمودة فى الفرقة القومية. لكن هداية تمسكت بفوزى. ورضخت الأسرة تلبية لرغبتها.

وتزوج فوزى هداية. وعاشا فى شقة صغيرة فى السكاكينى ثم اتسعت فيما بعد وانتقلت إلى شـارع الهرم. ولا ضيوف من الوسـط الفنى فذلك لا يتناسب مع عادات أولاد طنطا. ولا حفلات ولا مهرجانات. والحياة من الشغل إلى البيت. ومن البيت للشغل.

استمرت الحياة تسع سنوات أثمرت عن ثلاثة أبناء هم نبيل وكان مهندس إلكترونيات. وسمير مهندس هاجر إلى هولندا. ومنير طبيب أمراض نساء وتوليد.

وكان محمد فوزى قد التقى مع مديحة يسرى فى بطولة أفلام «قبلة فى لبنان» ١٩٤٥. «فاطمة وماريكا وراشـيل» ١٩٤٩. ثـم فيلم «نهاية قصـة» ١٩٥١ بعدها صارحها المخرج حلمـى رفلة الذى أخرج لفوزى كل أفلام تلك الفـترة بحب محمد فوزى لها. بعدها تقدم فـوزى وعرض عليها الـزواج ووافقت. وكانت تقوم بدور الزوجة والسـكرتيرة التى تحفظ «الراكورات» فى الأفلام وتحافظ على النوت الموسيقية وأثمرت علاقتهما الزوجية طفلا. هو «عمرو». فلما وقع الطلاق بينهما فى نوفمبر ١٩٥٨ اشترطت أن يظل عمرو فى حضانتها. ووافـق والده. وأصبـح عمرو بطل مصر فى الكاراتيه. ومات فى ريعان شـبابه فى حادث سيارة.

وتـزوج محمد فوزى للمـرة الثالثة عام ١٩٥٩. وحكت العروسـة وهـى الفنانة كريمة الشهيرة بفاتنة المعادى قصة هذا الزواج فقالت:

قدمنى المخرج عاطف سـالم للسـينما فى فيلم «وحش البحر» عام ١٩٥٧ ثم ظهرت فى أفلام «ماليش غيرك». «الملاك الصغير». «حلاق السـيدات». وأقنعنى كل من حولى بأننى أمتلك صوتا جميلا يصلح للغناء. واتفقت مع الموسـيقار بليغ حمدى على تسجيل أسطوانة مـن ألحانه. حددت موعدا معه فى شـقتى بعمارة فريد الأطـرش لعمل بروفة على اللحن الذى أعده لى فجلست أنتظره على الأرض فى منزلى. وأنا أدندن بنغمات اللحن. وفوجئت ببليغ يدخل الحجرة ومعه محمد فوزى. فقد كان بليغ تلميذا له. وأذهلتنى مفاجأة وجود محمد فوزى. معشوقى منذ طفولتى وصباى فى بيتى. تسمرت فى مكانى بلا حراك. وأنا أنظـر إليهما باندهاش. وتذكرت فـى لحظة حلمى القديم بأن ألمس يد محمد فوزى وأقف

أمامه. ولما مد يده ليسلم عليَّ لم أتمكن من رد السلام بالمثل. بل لم أمد يدى نحوه أصلا. حتى جملة «أهلا وسهلا» لم أنطقها. حاول بليغ أن ينقذ الموقف فقال لى: يللا يا كريمة نبتدى. فلم أرد عليه. وبقيت على نفس موقفى أنظر فى وجه محمد فوزى بدون أى كلام.. وانفعل محمد فوزى. وأخذ عنى فكرة خاطئة وتصور إننى إنسانة مستهترة أو غير طبيعية واستأذن فى الخروج بعد دقائق فخرج معه بليغ.

بعد دقائق من مغادرتهما. رن جرس التليفون والمتحدث بليغ. قال وهو يعنفنى «انتى ضيعتى الفرصة.. إزاى متغنيش قدام محمد فوزى. وهو جاى مخصوص يسمعك». فرددت بسرعة. وقلت: إنت ما تعرفش إيه اللى حصل لى.. إلاّ الراجل ده.. أنا بحبه من الطفولة.. بحبه طول عمرى. ولما شفته وجها لوجه إتلجمت. وما قدرتش أقوله لا أهلا ولا سهلا.. وكمان عايزنى أغنى قدامه؟!

وفوجئت - والكلام مازال على لسان كريمة - بصوت محمد فوزى يرد علىَّ من سماعة ثانية. فقفلت السماعة فى وجهه فورا ليتصل بى مرة أخرى ويقول لى مباشرة: معقولة تكونى فاتنة المعادى ولسة ساذجة وبتحبى الحب الأفلاطونى؟.. وأضاف: أنا سعيد برغم الفكرة الغريبة التى أخذتها عنك فى الأول. بس حقيقى يا كريمة هانم «انتى بتحبينى فعلا»؟ فرددت عليه: أيوه!

وانتهت المكالمة لأعيش بعدها فى حلم طويل. لم أرد أن أصحو منه.

كنت وقتها قد حصلت على الطلاق من زوجى. ولم أكن أتخيل أن فى الإمكان أن ألتقى بمعشوقى محمد فوزى. فهو لم يكن من المترددين على جلسات الوسط الفنى. ولا يزور زملاءه بصفة دائمة.

طلبت من صديقتى الفنانة مريم فخر الدين أن تدعوه لحفل عيد ميلادها. وطلبت من الفنان رشدى أباظة أن يخبر أسطوانة لموسيقى «سلو» ويطلب من فوزى أن يرقص معى.. وتلامست يدانا فشعرت بيدى باردة كالثلج وارتعشت من فرط الارتباك. وانتقل ارتباكى إليه وسألته:

انت ليه ما اتجوزتش بعد طلاقك من مديحة يسرى؟

فأجاب: لأنى لازم أتجوز واحدة مش من الوسط الفنى. شعرها أصفر وعيونها زرقاء وطويلة وأول حرف من اسمها «كاف».

- كريمة؟

قال: آه. تقبلى تتجوزينى؟!

قلت: أنت بتتكلم جد؟

أجاب: آه.

وبعد أسابيع قررنا الزواج، وكان أول ما طلبه منى هو اعتزال الفن كشرط أساسى للزواج، وافقت.. وتم عقد القران فى مكتبه بعمارة «الايموبيليا» وتم الزواج لأصبح إلى جوار حبيبى وفتى أحلام طفولتى.

وتقول كريمة: اكتشفت أن محمد فوزى زوج غيور ووضع لى قائمة بالممنوعات وهى حفلات أم كلثوم. وزيارة الأصدقاء. وحضور مباريات كرة القدم. وكنت زملكاوية متعصبة وأحضر كل المباريات فى الملاعب. وقد وافقت أيضًا على كل ذلك وعشنا فى تبات ونبات إلى أن أعلن قرار تأمين مصنعه. فأصبحنا زبائن دائمين للمستشفيات.

فى مستشفى سانت مارى فى لندن، تعلمت كريمة مهنة التمريض لرعاية زوجها ولم يشعر فوزى بتحسن فى الحالة. فاتجه إلى أمريكا بحثًا فيها عن علاج ووجده باستعمال دواء مستحدث لم يتم تجريبه بعد، لكنه ارتاح عليه وعاد لبلده على أن يعود بعد شهرين. وبدلا من العودة لأمريكا. عاد إلى لندن. حيث اعترض الأطباء على طريقة العلاج الأمريكى الفورى. وألزموه باتباع نظامهم القديم. فانهارت صحته وعاد للقاهرة يتملكه إحساسا بقرب النهاية.

كتب فوزى رسالة إلى جمهوره فى مصر والبلاد العربية ونشرها فى عدة صحف يقول فيها: «الموت علينا حق. فإذا لم نمت اليوم، فسوف نموت غدًا.. وأحمد الله إنى مؤمن بربى. فلا أخاف الموت الذى قد يريحنى من هذه الآلام التى أعانيها. فإذا مت أموت قرير العين. فقد أديت واجبى نحو بلدى. وكنت أتمنى أن أؤدى الكثير. لكن إرادة الله فوق كل إرادة. والأعمار بيد الله. لن يطيلها الطب. ولكننى لجأت إلى العلاج حتى لا أكون مقصرًا فى حق نفسى. وفى حق مستقبل أولادى الذين لا يزالون يطلبون العلم فى القاهرة. إن أكبرهم نبيل الطالب بالسنة الثانية بكلية الهندسة. ويليه سمير وهو بالسنة الأولى معه. وثالثهم منير بالسنة الثانية الثانوية ورابعهم الطفل عمرو.

إننى حين أتركهم أشعر بالاطمئنان بعد أن كفلت الدولة أسر الفنانين.

تحياتى لكل إنسان أعرفه فى القاهرة. وغير القاهرة. فقد نلتقى. وقد لا نلتقى..
تحياتى لكل إنسان أحبنى ورفع يده إلى السماء من أجلى.
وأخيرًا تحياتى لأولادى وأسرتى؟.

بعد خمسة أيام من هذا النشر وفى يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٦٦ توفى المليونير الشحات.. محمد فوزى تاركًا ثروة سينمائية وغنائية. وسيارة شيفروليه ٥٨ وفيلا وبعض الأسهم فى مشروعات تجارية مختلفة وإيراد شهرى قدره ألف جنيه. وترك ما هو أهم. وهو سيرته الحسنة وقلبه الأبيض ومعاملاته المثالية لزملائه الفنانين. وهو الذى انشغل بمصنعه فتنازل عن أغنية «أنساك يا سلام» لبليغ حمدى ليكمل لحنها ويزكيه عند أم كلثوم. بعد أن وقف بجواره فى أول مشواره فى التلحين وأنتج له أغنية «ما تحبنيش بالشكل دا» التى غنتها فايزة أحمد.

كذلك استضاف فوزى لحن محمد الموجى لفايزة أحمد «يا لاسمرانى» فى فيلم «ليلى بنت الشاطىء» وكان هو منتجه وبطله وملحنه. كما قدم مطربًا منافسًا. فى فيلم «كل دقة فى قلبى» وهو المطرب أحمد فؤاد. ولم يعترض فى أن يشارك رياض السنباطى ومحمد عبدالوهاب ومحمد القصبجى بالتلحين لنور الهدى فى فيلمه «قبلنى يا أبى».

وكان محمد فوزى يكتب اسم نور الهدى فى مقدمات الأفلام التى ظهرت معه فيها. قبل اسمه. احتراما لتاريخها الفنى وأقدميتها بالنسبة له. مع أنه كان المنتج والبطل والملحن لهذه الأفلام.

كان محمد فوزى طرازا خاصا من الفنانين العرب. انفرد بتقديم لون سينمائى وغنائى متميز فى جوهره. مصرى فى طابعه.

□□□